

الوصف الجغرافي لجزيرة العرب عند المقدسي

أ.د. كمال عبد الله حسن
الباحثة حنان حمد حسن العبيدي
جامعة الانبار/ كلية التربية

المستخلص :

حظيت جزيرة العرب باهتمام الجغرافيين المسلمين فشغلت بدايات كتاباتهم. أن بلاد العرب أو جزيرة العرب كما يعرف عند علماء العرب هي الأراضي المحاطة (ببحر الهند) (المحيط الهندي) و(البحر القلزم) (البحر الأحمر) ثم دجلة والفرات من الشمال. تقع شبه الجزيرة العربية في قارة اسيا وهي محاطة (باتجاه عقارب الساعة) بالخليج العربي في الشمال الشرقي، وبمضيق هرمز وخليج عمان شرقاً، وبحر العرب بالجنوب الشرقي وبالجنوب، وخليج عدن جنوباً. ومضيق باب المندب بالجنوب الغربي والبحر الأحمر في الغرب والجنوب الغربي.

Summery

The Arabian peninsula attracted the attention of the Muslim geographers and took their early beginnings. The Arab countries or the Arabian peninsula as know by Arab scientists is the land surrounded by India sea (the Indian ocean),(sea of alkulzm) rad sea, Tigris and Euphrates .

The Arabian peninsula is located is Asia and is surrounded (clock wise)in the Arabian gulf in the north east ,the strait of hormaz , the Arabian sea to the southeast and south , the gulf of Aden to the south ,the bab almandab in the south west and the red sea to the south and south west .

مقدمة :

كان القرن العاشر زخراً بالجغرافيين من ذوي الأعمال الأصيلة، وفي هذا القرن نمت وترعرعت نواة لأنواع من الجغرافية، كالجغرافية الإقليمية والوصفية وجغرافية وجغرافيا المدن (الحضر) حتى وصلت إلى أوج نضجها على يد المقدسي . ومن أهم ما تميز به هذا القرن هو صنع خرائط إقليمية ثبتت عليها الحقائق والعلاقات، ويعد المقدسي نموذج للجغرافيين الإقليميين المسلمين. (١)

المقدسي هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي البشاري، ولد سنة (٣٣٥هـ / ٩٤٧م) ببيت المقدس، ومن هنا اشتهر بالمقدسي وهو حفيد لبناء اشترك في بناء مدينة عكا في عهد الدولة الطولونية، كما يتميز بأنه قد تعلم تعليماً ممتازاً بعد أن أدى فريضة الحج في مكة وهو في العشرين قرر أن يكرس جهده لدراسة الجغرافية، فقام المقدسي بعدة رحلات استغرقت أكثر من عشرين عاماً وذلك للحصول على البيانات اللازمة لهذه الدراسة، وبدأ المقدسي في عام (٩٨٥م/٣٧٥هـ) كتابه ((أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)) وقد قسم المقدسي مملكة الاسلام على أسس مستقلة إلا أن جمع المادة الجغرافية ومعالجة الموضوع كان على طريقة الاضطخري وابن حوقل، وتحمل خرائط المقدسي شبيهاً من خرائط الاضطخري ويحتوي كتاب المقدسي على وصف عام للأقاليم الاسلامية مع التركيز على الجوانب الثقافية والدينية والظروف المناخية والظروف الأخرى (٢) واعتمد المقدسي اسلوبين مهمين في البحث الجغرافي، كونا الأساس المتين الذي استقى منه معلوماته وبنى عليه آراءه واستنتاجاته وميزاه، وهذان الأسلوبان وضعا تحت عنوانين الأول هو الدراسة النظرية والثاني هو الدراسة الميدانية (٣). وهكذا أصبح المقدسي مسلحاً بسلاح المعرفة العلمية التي تمكنه من تحقيق مآربه والوصول إلى أهدافه التي تفتح وتثير الطريق أمامه. (٤) ويبدو أن انتقال المقدسي في

صباه إلى بغداد ودراسته على أيدي علمائها من جهة ثانية ملازمته لدور الكتب في بغداد، ساعد على امتلاك المقدسي التأهيل العلمي والخلفية الثقافية التي مكنته من بلوغ ما وصل إليه، فضلاً عن ذلك امتلاك المقدسي حساً جغرافياً مرهفاً زودنا بمؤلف قيم فيه معلومات جغرافية وأخرى غير جغرافية عن أقاليم (مملكة الاسلام) وكان الأساس الذي اعتمده المقدسي في كتابه الأساس النظري اذ يقول ((اعلم أي أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة واسندته بدعائم قوية وتحريت جهدي الصواب، واستعنت بفهم أولي الألباب، وسألت الله عز اسمه أنه يجنبني الخطأ والزلل ويبلغني الرجاء والأمل)).^(٥) ويقول أيضاً ((ومالم يقر في قلبي ولم يقبله عقلي اسندته إلى ذي ذكره أو قلت زعموا وشحنته بفصول وجدتها في خزائن الملوك)).^(٦) ومن أهم هذه الخزائن هي خزانة عضد الدولة البويهبي وغيرها .

ثم يبدأ المقدسي بذكر مملكة الاسلام فيقول ((اعلم أن مملكة الاسلام حرسها الله تعالى ليست بمستوية فيمكن أن توصف بتربيع أو طول أو عرض، إنما هي متشعبة يعرف ذلك من يتأمل مطالع الشمس ومغاريها، ودو في البلدان وعرف المسالك ومسح الاقاليم بالفرسخ)).^(٧) وقسم المقدسي ((مملكة الاسلام)) إلى أربعة عشر اقليماً، ستة منها عربية هي: جزيرة العرب - العراق - آقور - الشام - مصر - المغرب - وثمانية للعجم هي: المشرق - الديلم - الرحاب - الجبال - خورسان - فارس - كرمان - السند . ويعلل المقدسي اقتصاره في كتابه ((أحسن التقاسيم)) على ذكر الأقاليم الاسلامية وعدم دراسته لبقية أجزاء العالم أو أقاليم الكفار بقوله ((لم ندخلها ولم نر فائدة من ذكرها بل قد ذكرنا مواضع المسلمين فيها)).^(٨) ونلاحظ على تقسيم المقدسي انه اعتمد على (الدين) كرابطة للأقاليم التي تناولها، ثم اعتمد على (اللغة) فقسم الأقاليم الاسلامية على أساسها إلى أقاليم عربية، وأقاليم أعجمية، ثم اعتمد في تقسيمه للأقاليم العربية على أساس تقسيم إداري أو سياسي، فالإقليم عند المقدسي رقعة حددت على أساس (ديني - لغوي - إداري)، إذ أن العالم الاسلامي فسيح المساحة يضم في رحابه ظاهرات

مختلفة . فكان لابد من التقسيم إلى أقاليم حتى يمكن إدراك ما بها من ظاهرات طبيعية وبشرية قد تتشابه. (٩)

ومن الجدير بالذكر أن اتساع ((مملكة الاسلام)) ومما سادها من وحدة دينية ويسر السفر وساعد عليه هو الحج إلى ((بيت الله الحرام)) إذ كان عاملاً مهماً للالتقاء بالمسلمين من شتى بقاع العالم الاسلامي والتعارف فضلاً عن نقل المعلومات بصورة شفوية فيما بينهم استمرت الرحلات التجارية التي اشتهر بها العرب (رحلة الشتاء والصيف) في ظل الاسلام، وازدهرت نتيجة لاتساع الدولة وسهولة التنقل في داخل أقاليمها، وهذه الرحلات رغم أغراضها وغاياتها المختلفة أضافت كثيراً إلى المعرفة الجغرافية، لأنها كانت مصدراً مباشراً للمعلومات الجغرافية، وهذا ما نجده عند معظم الجغرافيين المسلمين الذين اعتمدوا في كتاباتهم على المعلومات التي جمعوها أثناء رحلاتهم وأسفارهم. (١٠) ومما سبق تتبين المنهجية الصحيحة والسليمة التي اتبعتها المقدسي وهي تتم عن ادراك ودراية وخطة علمية مدروسة أتبعها المقدسي في كتابه وجمع معلوماته عن الأقاليم التي زارها بنفسه أو نقل عنها من أناس ثقافت كانت خير معين له في وصف وتحليل جوانب عديدة من جوانب الحياة وتزويدنا بمعلومات قيمة عن الجوانب الطبيعية من مناخ وبحار وأنهار وجبال وغيرها وجوانب بشرية تشمل المدن والتجارات والطرق والأجناس وغيرها. (١١) وقد صنف المقدسي المياه في العالم الاسلامي أو مملكة الاسلام تصنيفاً خاصة به وهذا التصنيف جاء عن طريق التجربة والملاحظة الشخصية حيث صنف المياه إلى نوعان خفيفة وثقيلة، حيث قال المقدسي ((فإن قال قائل ومن اين علمت خفة المياه وثقلها قيل له من أربعة أشياء أحدهن أن كل ماء يبرد سريعاً فهو خفيف وما رأيت أسرع برودة من ماء تيماء وأريحا وهما أخف مياه الاسلام فمن هذا استتبعت هذا الوجه ثم صح لي بكثرة التجارب، والثانية الماء الخفيف يبطن تحلبه ومن شرب ماءً ثقيلاً أسرع بوله، والثالثة الماء الخفيف يشهي الطعام ويهضمه والرابعة اذا اردت أن تعرف ماء بلد فاذهب إلى البزازين والعطارين فتصفح وجوههم فإن رأيت فيها ماء فاعلم خفته على قدر ما ترى من نضارتهم وان رأيتها كوجوه الموتى ورأيتهم

مطافي الرؤوس فجعل بالخروج منها)).(١٢) ووصف إقليم الجزيرة العربية بأنه ماء عدن وقناة مكة وزبيد ويثرب خفيف، وماء غلافقة قاتل لأنه ماء قزح وينبع رديء .

مشكلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة الدراسة وفق الاتي . ما مدى مساهمة المقدسي في وصف جزيرة العرب جزيرة وما مدى مطابقة لأرض الواقع .

فرضية البحث :

امتاز الوصف الجغرافي للمقدسي بالدقة والشمولية مستندا على المشاهدة وقد كان مطابق للواقع بدرجة كبيرة .

حدود البحث:

حدود الدراسة : يمكن تحديد الدراسة بالحدود الاتية :

١- الحدود الزمانية : متمثلة بامتدادها في العصر الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي .

٢- الحدود المكانية : متمثلة بموقع جزيرة العرب المكاني في الطرف الشرقي من العالم العربي و الجزء الجنوبي من قارة اسيا بين دائرتي عرض (١٢-٣٠ شمالا) وخطي طول (٣٥-٦٠ شرقا) بمساحة تقدر

(٥٤٣ , ٢٤١ , ١ ميل مربع) .

هدف البحث:

تهدف الدراسة التي تتبع جزيرة العرب ودراستها بكل تفاصيلها وبيان دور المقدسي ومن ثم بيان اهمية موقعها في الماضي والحاضر .

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي ليكون منهجاً فكرياً يرسم الطريق الذي يسلكه البحث مدعوماً على المنهج الموضوعي ليكون منهج البحث الكتابي , كما تم اعتماد عدداً من المصادر لزيادة الجانب المعرفي بالموضوع . خريطة رقم (١) الجزيرة العربية في الوقت الحالي

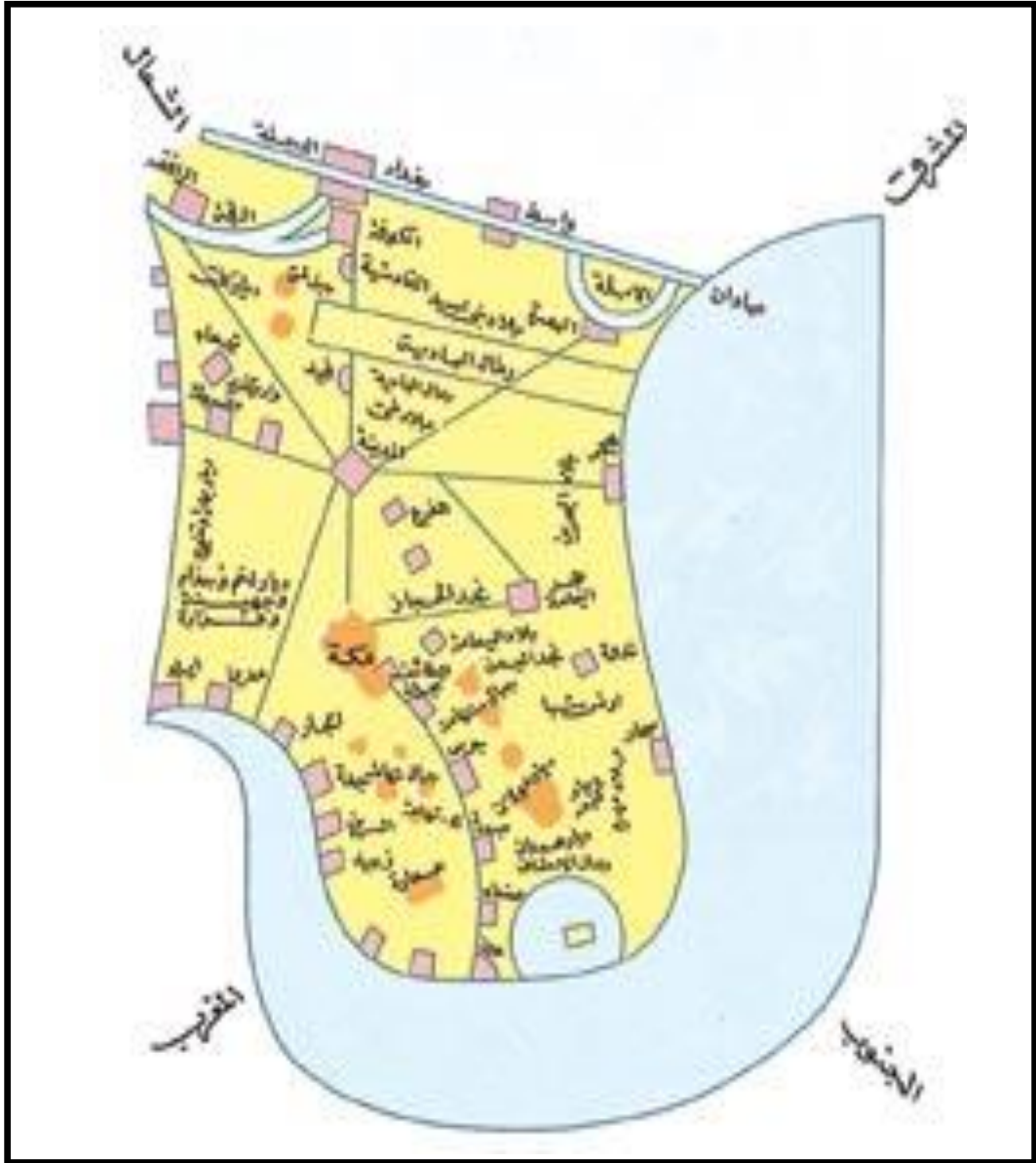
خريطة رقم (١) دول شبه الجزيرة العربية في الوقت الحالي



mo3alem.com

المصدر : من عمل الباحثة بالاعتماد على : الانترنت (المكتبة الشاملة)

خريطة رقم (٢) جزيرة العرب عند المقدسي



المصدر : من عمل الباحثة بالاعتماد على ضياء الدين علوي، الجغرافية العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجري) ، الكويت ، ١٩٨٠ .

الخصائص الطبيعية

١- المناخ

أما بالنسبة للمناخ عند المقدسي فيلاحظ في ثلاثة جوانب هي (الحرارة والرياح والتساقط) إذ حاول المقدسي في كل إقليم إعطاء موجز عن هذه الجوانب الثلاثة بحيث تعطي للأقليم شكله وطبيعته المناخية، لقد حدد المقدسي في مقدمته أن من أهداف كتابه ذكر (المصادر والجروم) ومعناها بلاد الحر، وبلاد البرد وذكر المقدسي الأقاليم الباردة والحارة وبالتالي كمية الامطار والتلوج ومن ثم معرفة نوع النشاط الزراعي وطرق الارواء ومصدر المياه وأيضاً وصف المناخ إذ ميز المقدسي مناخ المنطقة الجبلية والسهلية وخير مثال على ذلك ما قاله ((عن مناخ جزيرة العرب واليمن هو إقليم شديد الحر الا السراوات ، (جبال السراة على البحر الأحمر) فإن هواءها معتدل)).(١٣) وهذا صحيح لارتفاعها عن الأراضي المجاورة . ونلاحظ مما سبق بأن المقدسي نمّ عن قدرة علمية مبكرة هو تأثير المناخ في البناء الفسيولوجي للإنسان فهو يشير إلى ان المناطق الباردة يكون أهلها أعظم خلقة من حيث السمن والضخامة والطول ولون البشرة فيقول ((كل بلد شديد البرد فأهله أبرد وأثقل كبار اللحى)).(١٤) ويشير المقدسي إلى الصرود والجروم ومعناها الشتاء والصيف وسمى الخريف والربيع بالاعتدالين حيث درجات الحرارة معتدلة وملائمة لراحة الإنسان، أما عن الرياح أو الريح فإن المقدسي لم يكثر من ذكرها وإنما كانت اشارات قليلة مقتضبة فالريح عنده قد تكون مهلكة وتسبب الغرق، ومنها ما هو يريح الانسان، أما عن التساقط فهو عند المقدسي على ثلاثة أنواع أمطار وتلوج ورطوبة فأما بالنسبة إلى المطر والتلوج، فإنه يذكر في إقليم الجزيرة لا يقولون بالماطر ولا تثلج لهم ولا جليد أما عن الرطوبة، فإن المقدسي يشير إلى أقاليم الجزيرة ففي عُمان ينزل عليهم في الليل شبه الدبس - وهذه دلالة على ارتفاع الرطوبة في الهواء بسبب قربها من البحر، ويصف أيضا المقدسي المناخ في شبه الجزيرة العربية بقوله ((شديد الحر الا السراوات فإن هواءها معتدل حدثت أن رجلاً بصنعاء طبخ قدرًا من اللحم ثم ذهب إلى الحج فعاد وما تغيرت ولباسهم في الشتاء

والصيف واحد والليل بمكة طيب، كرب بتهامة وينزل عليهم بعُمان في الليل شبة الدبس ويكون بالحرم حر عظيم وريح تقتل)).(١٥)

المياه في جزيرة العرب:

ومن الجدير بالذكر ان المقدسي ذكر ظاهرات طبيعية متعددة ومختلفة ومنها ظاهرة (المد والجزر) و (ضحالة المياه) ودرس عن أعماق مياه البحار وصعوبة الملاحة فيقول عن البحر الأحمر (بحر القلزم) فيقول ((ومن القلزم إلى البحار عرى صعبة من أجلها لا يسيرون إلا بالنهار والريان على الجخوار منكب في البحر فإذا ظهرت عراة صاح يمينا أو شمالاً وقد رتب صبيان يصرخان بذلك وصاحب السكان بيده حبلان يجذبهما يمينا وشمالاً اذا سمع النداء وأن غفلوا عن ذلك صدم العرى المركب فأعطبه)).(١٦)

وكما أشار المقدسي إلى الرياح ودورها في التعرية الريحية حيث تعمل الرياح على تغيير وتحويل بعض معالم سطح الأرض خاصة في المناطق الصحراوية، وذكر عن مدينة الجفار في عُمان فيقول ((بالجفار طلسم للرمال حتى لا تغلب على المدن والقرى)).(١٧) وفي ذلك صريحة إلى الكثبان الرملية السائلة أو المتحركة بفعل الرياح وتأثيرها على المدن والقرى .

٢- السطح

كانت للمقدسي إشارات عديدة عن التربة والصخور فقد ذكر المقدسي لون الصخور ولون التربة وتعد في الوقت الحالي من المقاييس المتعارف عليها حالياً في التمييز بين أنواع الصخور أو التربة ودرجة الصلابة.(١٨)

الابار والعيون في جزيرة العرب:

أما عن الآبار والعيون فقد ذكر المقدسي من الآبار والعيون ما لا يعد ولا يحصى فليس من أقليم إلا وبه عين أو بئر ارتوازي أما للسقي أو الشرب وهو يؤكد أن في المناطق القليلة الأنهار

وفي الجهات الصحراوية على الأغلب يكون الاعتماد على الآبار كما هو الحال في الجزيرة العربية والمفازة وبعض أقسام إقليم المغرب .

أما العيون فمنها ما هو نقي ومنها ما هو كدر يخرج المعادن. (١٩) وقد أبدع المقدسي في الجانب الطبيعي وبادية العرب من وصف في التلال والرمال والعيون ووصفه لجبال البحر الأحمرو السراة ويتمثل في عدد من المناطق منها جبال (مدين، الحجاز، عسير، اليمن) . ويقول ((وهي جبال عالية باردة معتدلة ذات قرى وعيون وأشجار يقع فيه من البلدان مآب وعمان)). (٢٠)

إن الذكر هنا هو إشارات مقتضبة قدر الامكان القصد منها إيضاح ما تطرق إليه المقدسي في الجانب الطبيعي وليس على سبيل الحصر ولكي تكون منطلقاً إلى النشاط البشري والذي يرتبط به ارتباطاً مباشراً فالنشاط البشري انعكاس للجانب الطبيعي.

ثانياً: الخصائص البشرية

أن تشعب حقل الجغرافية البشرية يجعل من الصعوبة بمكان تحديد ماهية الجغرافية البشرية، وما تشمل من فروع وتأثير البيئة وتأثره بالإنسان المجهود العقلي لفهم العلاقات بين الحاجات البشرية والعالم الطبيعي أو المجهود العقلي لفهم كل العوامل الاقتصادية والبيئية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية. إلا إننا نشير إلى ان الجغرافيين العرب كانوا من أوائل من كتب في الجغرافية البشرية. (٢١) خصوصاً اذا كانت هذه المعلومات مبنية على المشاهدة الشخصية عن طريق الرحلة والسفر كما هو الحال عند المقدسي اذا نجد غزارة المعلومات البشرية من عادات وتقاليد وأديان، فضلاً عن الزراعة والصناعة والتجارة والنقل، ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن مجرد معالجة مثل هذه المواضيع من قبل المقدسي يشير إلى نزعة مبكرة لفهم الشخصية الإقليمية للعالم الاسلامي، خصوصاً أنه اتبع منهجاً في الدراسة يقوم على أساس دراسته للإقليم من النواحي الطبيعية والسكانية وطرق استغلال الموارد الطبيعية. (٢٢)

١- الدين:

هو نظام يتكون من عقائد وممارسات وطقوس لها قدسيتها وحرمتها، ويتكون من مجموعة معتقدات وقيم وطقوس وممارسات سلوكية تتعلق بكائنات وقوى وأماكن مقدسة تفوق بطبيعتها وأهميتها جميع الأشياء التي يستطيع الإنسان الهيمنة عليها والتحكم فيها، ولذلك فهو يحدد سلوك الأفراد ويرسم أسلوب حياتهم ويضع عقيدتهم ويهذب نفوسهم وينظم شؤونهم الخاصة والعامية. (٢٣) ولذلك فهو أول العوامل التي اعتمدها المقدسي في دراسته ان لم يكن هو روح الدراسة وهدفها، فحدد نطاق دراسته بناءً على الدين فيقول ((ولم نذكر إلا مملكة الاسلام حسب ولم تتكلف ممالك الكفار لأنها لم ندخلها ولم نر فائدة في ذكرها بل قد ذكرنا مواضع المسلمين فيها)). (٢٤) وعليه فقد حصر دراسته بما يخص الاسلام فقط، في مملكة الاسلام أولاً ومواضع المسلمين ولما كان التحليل السكاني في الجغرافية يعد أحد العناصر الرئيسية في اية دراسة جغرافية اقليمية. (٢٥) فقد خصص المقدسي بابا اسماء المذاهب والذمة أوضح فيه المذاهب والذمم التي يعتنقها السكان، ويؤكد على أهمية الدين فيبدأ في ذكره الأقاليم بإقليم جزيرة العرب والسبب هو حسب قوله ((لأن بها بيت الله الحرام ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام، ومنها انتشر دين الاسلام، وفيها الخلفاء الراشدون والانصار والمهاجرون، وبها عقدت رايات المسلمين وقويت أمور الدين وأيضاً فإن لها بها المشاعر والمناسك والمواقيت والمناصر، ولا بد للمدرسين من معرفتها في شروحهم)). (٢٦) وأما القراءات فيذكر في كل إقليم القراءة المعتمدة ففي جزيرة العرب فقال ((القراءات بمكة على حرف ابن كثير وباليمن قراءة عاصم ثم قراءة أبي عمرو مستعملة في جميع الأقاليم وسمعت في صدور القراء بمكة يقول ما رأينا ولا سمعنا أن أحد أم خلف هذا المقام بغير قراءة ابن كثير الا في هذا الزمان)). (٢٧)

٢ - اللغة:

وهو العامل الثاني الذي استخدمه المقدسي، فعلى ضوء اللغة قسم دراسته إلى قسمين (عربي وعجمي) فيقول ((وقد قسمناها أربعة عشر اقليماً وأفردنا أقاليم العجم عن أقاليم العرب، جزيرة العرب ثم العراق ثم آقور ثم الشام ثم مصر ثم المغرب، وأقاليم العجم أولها المشرق ثم الديلم ثم الرحاب ثم الجبال ثم خورستان ثم فارس وغيرها)). (٢٨) وفي دراسته لهذه الأقاليم يتبع منهجاً محدداً في استخدام اللغة نابع من طبيعة اللغة المستخدمة في كل اقليم ومدى اختلاف اللهجات وطريقة النطق فيقول ((في كل اقليم بلسانهم وناظر على طريقتهم ونضرب من أمثلتهم لتعرف لعنتهم ورسوم فقهائهم فإن كنا في غير الاقليم تكلمنا بلغة الشام ويرى إلى بلاغتنا في اقليم المشرق لأنهم أصح الناس عربية)). (٢٩)

وتحدث عن جزيرة العرب: لغتهم عربية الابصار فإن ندام وكلامهم فيما بينهم إلا أن اللغة العربية وبطرق الحميري قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم وأهل عدن يجعلون الجيم كافاً فيقولون لرجب - ركب والرجل ركل .. وجميع لغات العرب موجودة في الجزيرة إلا أن أصح بها لغة هذيل ثم النجدين ثم بقية الحجاز. (٣٠)

٣ - العادات والتقاليد:

هي أنماط سلوكية وطقوسية يتمسك بها الأفراد نظراً لتأكيدها على أهمية الماضي ومنزلتها الرفيعة عند الأفراد، وهي تتمثل عند العرب في الكرم والجود وحسن الضيافة ونصرة المظلوم، وفي طراز البناء والعمارة وارتداء الملابس وغيرها من العادات والتقاليد المعروفة، وتتمسك الشعوب بهذه العادات والتقاليد باعتبارها تمثل تاريخها وماضيها التليد ولذلك نجد أن ديننا الحنيف لم يبطل العديد من القيم والعادات والتقاليد الموجودة عند العرب، نجد أن المقدسي قد أكثر من ذكر العادات والتقاليد في المجتمع لكي نفهم من خلالها طبيعة المجتمع وأنماطه السلوكية. (٣١)

لم يقتصر ذكر المقدسي للمدن من ناحية السكان فقط بل اهتم في تباين المدن وحجومها منها:

-المدن الكبيرة ٢-المدن الوسطى ٣-المدينة فوق الصغيرة ٤-المدن الصغيرة (المدن المقتصدية) و(المدينة المقتدرة) و(المدن الخدمية) (٣٢).

ولم يغفل المقدسي عن ذكره لتخطيط المدن والتي كانت متنوعة عنده وذلك من خلال تميزه بين العناصر العمرانية والتخطيطية للمدينة ممثلة بما يلي :

١-الجامع أو المسجد .

وكون المسجد (الجامع) يمثل الوحدة العمرانية المركزية، لهذا أصبحت الأسواق تحيط به كما يلاحظ من وصفه لمدينة بلخ إذا يقول : ((وأسواقها تحف بمسجد جامعها ...)) (٣٣) . وهذه الإشارة تؤكد أن المركز الأساس الذي تقوم عليه المدينة العربية الإسلامية إنما يتألف من مؤسستين مهمتين هما المسجد والسوق وكثيراً ما نجد أحدهما قرب الآخر. فضلاً عن أن المسجد أو الجامع يؤدي وظائف عامة سياسية واجتماعية إضافة إلى الوظيفة الدينية ، وقد أوضح أيضاً أن قياس حجم المدن من خلال عدد المساجد والجامع الموجودة فيها ، ولا يهمل ابن حوقل الجوانب المعمارية في وصفه لبعض المساجد ، في مدينة دمشق يتحدث عن أساطين هذا المسجد وجدرانه ومعاقده رؤوسه ومحرايه وما فيه من آيات الفن وبدائع الصنع)) .

٢-دار الإمارة

كانت دار الإمارة من ضمن الوحدات العمرانية التي ذكر العرب المسلمون في اختيار موضعها منذ البداية الأولى لتخطيط المدن التي أنشأوها ، ولم ترد عند المقدسي نصوص تفصيل في دار الإمارة مع أنه من الوحدات العمرانية التي تدل على الوظيفة السياسية للمدن (٣٤).

٣- الأسواق

يعد السوق مع الجامع من الوحدات العمرانية المركزية في داخل المدن ، حيث يكون أغلب الأحيان ملاصقاً للآخر ، فضلاً عن الموقع المركزي الذي يحتله السوق ، ذكر أسواقاً تمتد على واجهات الطرق الرئيسية عند أبواب المدينة وخارجها كما وصفه وذكره للأسواق ويصف المقدسي الأسواق الموسمية التي تعتمد في أوقات معلومة من الأسبوع أو الشهر أو السنة ، حتى غدت بعض المدن تحمل اسم اليوم الذي يعقد فيه سوقها كما هو واضح في مدينة سوق الأحد من (مدن الموصل) ويقول المقدسي فيه: ((فيها أسواق ولها موعد لأوقات يحضر فيها السوق)) (٣٥) .

٤- مصادر أخرى : تشمل الآبار والعيون والبرك والبنى والأمطار ، إذ تعد الآبار مصدر مهم من المصادر للمياه في مملكة الإسلام وخاصة في المناطق التي تقل فيها المياه الجارية والأمطار ، فتستخدم للشرب والسقي حيث تتميز بمياهها الجيدة بسبب مياهها العذبة وتكثر في الجزيرة العربية وإقليم المغرب ومنها عمان تروى من الآبار القريبة منها ، وحران مزارعهم على الآبار وللكومة آبار عذبة (٣٦) . أما العيون فقد بين المقدسي وفي أكثر من موضع أهميتها سواء للزراعة أم للشرب والعلاج فهناك ((العيون العذبة والمالحة والكبريتية والكلسية)) والتي سبق الإشارة إليها .

التربة والحراثة:

ولم يغفل المقدسي عن ذكر الترب وماهي مسمياتها ومصطلحات متنوعة منها ((التربة الصحيحة أو صحيحة التربة)) أو تكون تربة مليحة كما في تربة البقيع شرقي المدينة المنورة (٣٧) . كما أن المقدسي أشار إلى ألوان الترب في إشارة منه التميز بين الترب بحسب ألوانها وهذه الطريقة ماتزال إلى يومنا هذا .

الإنتاج الحيواني :

إن أهمية الإنتاج الحيواني في العالم الإسلام ليس فقط من جانب الغذائي على عكس ذلك بل إنه يدخل كمادة أساسية في إعداد الملابس ، فضلاً عن الغذاء المتمثل في اللحوم ، الألبان ، البيض، العسل، وأنه يمثل أساساً مهماً من الأسس التي تقوم عليها الصناعات النسيجية المتمثلة بالحرير والصوف والقطن والجلد وغيرها.

إذا تعتمد من ناحية أخرى على الحيوان في حراثة الأرض إذ يعد الحيوان مصدر قوة ووسيلة نقل في نفس الوقت وكان الحيوان متمثلاً بالخيول والجال والبغال والحمير الأساس الممتد في المواصلات، كما يمكن الاستفادة منها في الأسمدة الحيوانية ومما تقدم يمكن أن نستنتج مقدار أهمية الثروة الحيوانية في النشاط البشر إذا احتوى العالم الإسلامي على عدد كبير من الأنهار والبحيرات وإطلالته على بحرين كبيرين (الصيني والرومي) وبحر الخزر وبحيرة قزوين قد أمد العالم الإسلامي بمصدر غذائي آخر وهو (الأسماك) فيذكر المقدسي انتشار الأسماك في كل من عدن والمدن الساحلية ومن مدينة الشعر بإقليم جزيرة العرب تحمل الأسماك إلى عمان وعدن وأطراف اليمن(٣٨).

الصناعة والمعادن

قد ارتبطت الصناعات الأولى بالمواد الأولية التي تتوفر بالمنطقة أو لمكان الذي يتواجد فيه الإنسان، وإن الصناعة باعتبارها نشاطاً بشرياً رافقت ارتقاء الإنسان سلم التطور الحضاري بل إن الحضارة ارتبطت بالأدوات الأولى التي أسهمت في توفير سبل أيسر للحياة من وسائل الصيد إلى عمل بعض الآلات والأدوات التي شاركت في الإنتاج الزراعي وفي عملية بناء المساكن من تهذيب لحجر وصنع الأجر من الطين ولقد كان النصب الكبير في أقاليم مملكة الإسلام في قيام ونشوء صناعات عدة رافقتها وجود ثروات طبيعية ، ومهارة الصناع وتوفر رؤوس الأموال بالتالي أدى الى إعطاء نشاط تجاري الذي يصرف هذه المنتجات، وقد أعطى التنوع والتخصص في صناعة صنف معين أو أصناف معينة من السلع وفي الوقت نفسه فإن يرتفع من تجارة هذه المدينة أو تلك يعطي دلالة صناعية لتلك المواد (٣٩) . لقد أوضح

المقدسي بذكر الصنائع والعلوم في أقاليم المملكة . كما إنه يعطينا توزيعاً للصناعات والعمال الماهرين الحاذقين في عملهم (٤٠) .

وكما أسلفنا سابقاً إن قيام صناعة ما يتطلب توفر مواد أولية تدخل في الصناعة أو الثروات الطبيعية تكون مصادرها طبيعية أي ليس للإنسان دور في خلق أو التوزيع الجغرافي لمصادرها سواء أكانت المصادر ملموسة أو غير ملموسة فهي تشمل ، الموارد المائية الثروة الحيوانية، التربة ، الموارد المعدنية . والمناخ وهي تختلف من وقت لآخر ومن مكان لآخر وسوف نتطرق منها:

١-الموارد المعدنية : أكثر الجغرافيين العرب ومنهم المقدسي في ذكر المعادن وأماكن تواجدها وطرق استخراجها واستعمالاتها ، ولما كان العلماء العرب قد برعوا في مجال استعمال المواد المعدنية وفي دراسة الجواهر والأحجار الكريمة وكذلك في صناعة الزجاج ومواد التزجيج وصناعة الأصباغ والأحبار والمواد المعدنية وأضافوا إلى المعرفة العلمية الإنسانية باكتشافهم الجديدة حول المعادن وسبل الاستفادة منها (٤١) كان يحتاج إلى عمال ماهرين ربما كانوا يعملون في مؤسسات صناعية تقوم بمهنة استحصال المعادن من أحجارها وأتربتها يدعون (بالمحصلين) وهم الذين لديهم خبرة في معرفة أوصلها .

إن المقدسي في كلامه عن المعادن وتوزيعها بين لنا مدى جودة أو عدم جودة معدن كما هو الحال في كلامه عن الحديد والتراب المستخرج من الحديد في جبال بيروت وعمان في إقليم الشام ، كما يوضح لنا استخدام هذه المعادن مثل الصخور المسماة الحوارة التي تستعمل في تبييض السقوف وتطبيق السطح ، ومما يسجله لنا المقدسي عن المعادن في المملكة أن في إقليم جزيرة العرب من منطقة (هجر اللؤلؤ) الذي يغاص إليه رجال تدفع الأجور الغالية لهم ويتخرجون صدف اللؤلؤ والسبب في ذلك هو وجود أسماك القرش والمخاطر التي تسببها وقال المقدسي : ((وأشد شيء عليهم صوت يثب إلى عيونهم)) (٤٢) . ومن صنعاء العقيق الذي

يعتبر من أجود أنواع العقيق في العالم الذي يقول عنه: ((ومن أراد العقيق اشترى قطعة أرض بموضع بصنعاء ثم حفر فرما خرج له شبه صخرة أو أقل وربما لم يخرج له شيء)) وبين ينبع والمرورة معادن الذهب وبين عدن ومخا على حافة البحر يوجد العنبر الذي يصنع منه العطور الغالية الثمن .

وقد قسم المقدسي الصناعات وما ينتج كل إقليم ، من (ا لقطن ، حرير، كتان ، صوف ، جلدية)، ويسمى كل صناع المهن على اسم مهنة مثل (الصوافون) الذين يعملون في الصوف والطرز والصباغ الذين يصبغون الملابس والأوصاف ، وتصنع الركاء الجيدة والأنطاع الحسنة وأكثر ثياب أهل الجزيرة القطن.

الهوامش

- ١- زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، جامعة القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٤٥ ، ص ٦٠ .
- ٢- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، سنة ١٢٧٩هـ، ص ٥٨ .
- ٣- يوسف يحيى طعماس، في فلسفة الجغرافيا، مجلة الجمعية الجغرافية، العدد ٢٩ لسنة ١٩٩٥، ص ٣٣ .
- ٤- عدي مخلص، المقدسي البشاري حياته ومنهجه، دراسة كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من الناحية التاريخية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٨٧١ ص ٧٥ .
- ٥- عبد الله يوسف الغنيم ، مصدر سابق ، ص ١١٤ .
- ٦- زكي محمد حسن ، مصدر سابق ، ص ٥٠ .
- ٧- المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر سابق
- ٨- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩ .
- ٩- كمال عبد الله حسن، أصالة الجغرافية الإقليمية عند المقدسي، اطروحة دكتوراه منشورة ، الجامعة المستنصرية ، ص ١٣٩ .
- ١٠- صلاح الدين المنجد، أعلام التاريخ والجغرافية عند العرب، ج ٢، مؤسسة التراث العربي، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٠ .

- ١١- إبراهيم المشهداني وآخرون، الفكر الجغرافي وطرق البحث، مصدر سابق، ص ٢٠٩ .
- ١٢- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٣ .
- ١٣- باسم عبد العزيز عمر العثمان، الفكر الجغرافي القديم والاسلامي، جامعة الأردن، عمان، دار الوضاح للنشر، ط١، ٢٠١٥، ص ٢١٤ .
- ١٤- المقدسي، المصدر السابق ص ٩٥ .
- ١٥- المقدسي، المصدر السابق ص ٣٨٤ .
- ١٦- المقدسي، المصدر السابق ص ١٢ .
- ١٧- المقدسي، المصدر السابق ص ٣٢٦ .
- ١٨- قحطان عبدالستار الحديثي، دراسات التنظيمات الاقتصادية لخرسان ، الصناعات ، مصدر سابق .
- ١٩- موسى علي حسين، الزراعة في التراث الاسلامي، دار الفكر، ط١، ج٢، دمشق، ٢٠٠١، ص ٥٣ .
- ٢٠- موسى علي حسين، المصدر السابق، ص ٢١٠ .
- ٢١- نوري خليل البرازي، الجغرافية الزراعية، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٠، ص ٣٣ - ص ٣٤ .
- ٢٢- إحسان محمد الحسن، موسوعة على الاجتماع، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت لبنان، ١٩٩٩، ص ٢٩٧ .
- ٢٣- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر سابق، ص ٩ .
- ٢٤- المقدسي، المصدر السابق، ص ٣٧ .
- ٢٥- المقدسي، المصدر السابق، ص ٦٨٠ .
- ٢٦- المقدسي، المصدر السابق، ص ٣٧١ .
- ٢٧- المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧ .
- ٢٨- المقدسي، المصدر السابق، ص ١٢٨ .
- ٢٩- المقدسي، المصدر السابق، ص ١٦٤ .
- ٣٠- احسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، مصدر سابق، ص ١٨٤-١٨٥ .
- ٣١- عبد الجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .
- ٣٢- المصدر نفسه
- ٣٣- خالص الأشعب ، المدينة في الفكر الجغرافي العربي في العراق ، مجلة آفاق عربية ، عدد ٧، ١٩٨٦ ، ص ٧٧ .
- ٣٥- مصطفى عباس الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة المدن وتطورها ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام بغداد ، ص ٢٢٣ ، ١٩٨٢ .

- ٣٤- المصدر السابق ، ص ١١٤ .
- ٣٦- عبد الجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ص ٥١ ، ١٩٨٦ .
- ٣٧- قحطان عبد الستار الحديثي ، دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان ، الزراعة ، مصدر سابق ، ص ٧٨ .
- ٣٨- المصدر السابق ، ص ٤٠٤ .
- ٣٩- مصطفى عباس الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة المدن وتطورها ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بغداد ، ص ٢٢٣ ، ١٩٨٢ .
- ٤٠- المصدر السابق ، ص ٣٣١ .
- ٤١- المقدسي ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ .
- ٤٢- نوري خليل ابراهيم ، الجغرافية الزراعية ، مصدر سابق ، ص ٢٨٦ .
- ٤٣- المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٣٢٩ .
- ٤٤- المصدر السابق ، المقدسي ، ص ٢٨٠ .
- ٤٥- المقدسي ، مصدر سابق ، ص ٤٦٦ .
- ٤٦- فلاح شاكر أسود ، المقدسي ، مصدر سابق ، ص ١٣١ .
- ٤٨- المقدسي ، مصدر سابق ، ص ١٩٥ .
- ٤٩- خلدون البصام ، علم المعادن في التراث العربي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م٤٦ جزء ٤ . ١٩٩٩ ، ص ٧٢ .

المصادر

١. إحسان محمد الحسن، موسوعة على الاجتماع، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت لبنان، ١٩٩٩ .
٢. باسم عبد العزيز عمر العثمان، الفكر الجغرافي القديم والاسلامي، جامعة الأردن، عمان، دار الوضاح للنشر، ط١، ٢٠١٥ .
٣. خالص الأشعب ، المدينة في الفكر الجغرافي العربي في العراق ، مجلة آفاق عربية ، عدد ٧ ، ١٩٨٦ .
٤. خلدون البصام ، علم المعادن في التراث العربي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م٤٦ جزء ٤ . ١٩٩٩ .
٥. زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، جامعة القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٤٥ .
٦. صلاح الدين المنجد، أعلام التاريخ والجغرافية عند العرب، ج٢، مؤسسة التراث العربي، بيروت، ١٩٦٠ .

أشراقات تنموية ... مجلة علمية محكمة ... العدد الحادي عشر

٧. عبد الجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦.
٨. عدي مخلص، المقدسي البشاري حياته ومنهجه، دراسة كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من الناحية التاريخية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٨٧١.
٩. كمال عبد الله حسن، أصالة الجغرافية الإقليمية عند المقدسي، اطروحة دكتوراه منشورة ، الجامعة المستنصرية.
١٠. مصطفى عباس الموسوي ، العوامل التاريخية لنشأة المدن وتطورها ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام بغداد ، ١٩٨٢ .
١١. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، سنة ١٢٧٩هـ.
١٢. موسى علي حسين، الزراعة في التراث الاسلامي، دار الفكر، ط١، ج٢، دمشق، ٢٠٠١.
١٣. نوري خليل البرازي، الجغرافية الزراعية، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٠.
١٤. يوسف يحيى طعماس، في فلسفة الجغرافيا، مجلة الجمعية الجغرافية، العدد ٢٩ لسنة ١٩٩٥.